علم الاجتماع الديني وعلاقته بالظواهر السيكولوجية

أ.د أبكر عبد البنات آدم إبراهيم- جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم- السودان.

Religious Sociology and its Relationships with psychological phenomena

Prof. Abaker Abdelbanat Adam Ibrahim. University of The Holy Quraan And Taseel of Sciences- Sudan.

ملخص: إنَّ الله خلق الإنسان من مادة وروح، وجعل له العقل ليدرك طبيعة الأشياء وقدر له كل مقومات الحياة وفق حكمته وإرادته ووفق نظمه الدينية و الاجتماعية والفلسفية، تلك النظم عبارة عن مجموعة من الممارسات العبادية يكتسبها الإنسان لأجل لتحقيق وجوده في هذا الكون، وهذا ما يطلق عليه بالتغذية الروحية والمادية فالإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الجماعة، فهو في كل مرحلة من عمره يستطيع أن يكيف نفسه مع ذاته ومع الآخرين من حوله، محققا بذلك إشباع رغباته الضرورية والحاجية. فالمجتمع بكل مكوناته يمثل المحيط الذي ينشأ فيه الشخص اجتماعيا وثقافيا وفكريا ودينيا، وبذلك تتحقق التنشئة الاجتماعية الصالحة أيا كان نوعها، ومن خلال نقل المورثات الثقافية من المحيط الفردي إلى المحيط الجماعي. و من أهم ما خلصت إليه الدراسة أنَّ العلاقة بين علم الاجتماع الديني والظواهر السيكولوجية علاقة طردية، فلا ينفك كل عن الآخر لوجود قواسم مشتركة تساهم في بناء الفكر الإنساني بشكل يحافظ على كينونة المجتمع البشري. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي المقارن أحيانا لتحقيق أهداف الدراسة.

الكلمات المفتاحية: علم الاجتماع، الدين، الظواهر الدينية، الظواهر السيكولوجية، الوازع الديني.

Abstract: Allah almighty has created man from physical substance and spirit, and gifted him the mind to realize the nature of things, and Allah almighty determined all the components of life according to His wisdom and will and according to His religious, social and philosophical systems. These systems are a set of worship practices that man acquires in order to achieve his existence on this world, and this is what is called spiritual and physical nourishment. Man is a social being who cannot live in isolation, for he from every stage of his life can adapt himself with himself and with others around him, realizing the fulfillment of his necessary and desires. Society, with all its components, represents the environment in which a person grows up socially, culturally, intellectually and religiously, thus achieving good social upbringing of whatever kind, and through the

transfer of cultural genes from the individual environment to the collective environment. One of the most important findings of the study was that the relationship between religious sociology and psychological phenomena is a direct one, so that they do not separate from each other due to the existence of common denominators that contribute to building human thought in a way that preserves the being of human society. The researcher adopted the descriptive, analytical and comparative method to achieve the objectives of the study.

Keywords: Sociology, Religion, Religious phenomena psychological phenomena, Religious scruples**.**

01- مقدمة

إنَّ دراسة حالة المجتمع من الناحية السيكولوجية وعلاقته بعلم الاجتماع الديني ومعرفة القوانين الدينية التي تفسر تلك العلاقة بين المجتمعات البشرية هي غاية ذو أهمية كبرى. وكثيراً ما يحدث مثل هذه المفاهيم موجة من التحرك الديني والثقافي بين الأوساط العلمية والفكرية. وقد نتج من خلال ذلك اهتمام عدد من المفكرين الغربيين بدور الدين في تحقيق القيم الاجتماعية في الأوساط التقليدية أو المتحضرة في نهاية القرن التاسع عشر؛ وبداية القرن العشرين سعوا إلى تقديم نظريات اجتماعية تطورية وبنائية سعت من خلالها إلى تفسير واقع المجتمعات البشرية عبر التاريخ وقد نتجت من تلك الجهود ما يسمى بعلاقة علم الاجتماع الديني بالظواهر النفسية.

هذا بالإضافة إلى علاقة علم الاجتماع الديني بالممارسات الدينية، كما يتطلّع الدراسة إلى ترسيخ المعالجة العلمية الهادئة للظواهر المتّصلة بالمجتمع، ومدى قدرة الدين في الإحاطة بالمشكلات الاجتماعية التي تتعلق بالظواهر النفسية؛ بعيداً عن إثارة الصراعات الدينية.

مشكلة الدراسة:

بالرغم من اهتمام الإنسان بدراسة المجتمعات البشرية من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، ورغم تلك النتائج الايجابية المجسدة على مختلف الأصعدة، إلا أن هنالك تهميشاً في اهتمامه بالظواهر الدينية والسيكولوجية ربما يرجع ذلك إلى التخوف أو الحذر، مما سبب الكثير من الحرج في الأوساط العلمية، بل دارت مناقشات عديدة حول مفهوم علم الاجتماع الديني وطبيعته في تقديم التجربة الدينية، وعلاقة الدين بالمجتمع، ومنه تبحث الورقة في ما يلي:

تساؤلات الدراسة: السؤال الرئيسي ما علاقة علم الاجتماع بالدين؟ ومن ثم تتفرع هذا السؤال إلى الآتي:

1. ما دور الدين في بناء المسئولية الاجتماعية؟
2. إلى أي مدي يمكن أن يساهم علم الاجتماع الديني في الكشف عن الظواهر السيكولوجية؟
3. كيف يمكن التعامل مع الواقع الاجتماعي في ظل غياب النزعة الدينية؟

02- أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في الآتي:

1. الكشف عن أهمية علم الاجتماع الديني في حياة الإنسان الروحية والمادية.
2. الإلمام بدور الدين في وضع معالجات موضوعية ومنطقية للظواهر السيكولوجية.
3. شرح كيفية تحويل المفاهيم المجردة إلى مؤشّرات إيجابية يمكن أن تسهم في بناء علاقات اجتماعية بين المجتمعات البشرية.

03- أهداف الدراسة: تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. ترسيخ المعالجة العلمية الهادئة للظواهر المتّصلة بالمجتمع البشري.
2. معرفة مدى قدرة الدّين في الإحاطة بالمشكلات الاجتماعية والنفسية.
3. الإلمام بقيم التغيّر الاجتماعي التي تساعد على التقدم المعرفي في السلوك والأخلاق ... وغيرها.

04- منهج الدراسة: استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي والمقارن.

05- مفهوم علم الاجتماع الديني: علم اجتماع الدينيReligious Sociology هو علم يختص بدراسة المعتقدات والممارسات والأشكال التنظيمية للدين باستخدام أدوات وأساليب المنهج الكمي(الدراسات الاستقصائية واستطلاعات الرأي العام والتحليل الديموغرافي) مثل الملاحظة والمشاركة(Observation and participation) المقابلات Interviews، وتحليل الوثائقية التاريخية (منصور، دت، ص10-11).

كما عُرّف بأنه هو العلم الذي يدرس المؤسسات الدينية دراسة اجتماعية(أماكن العبادة– الطقوس)، والعمليات الاجتماعية داخل المؤسسات الدينية(كوروتايف ،2004، ص83). أيضاً عُرّف بأنه هو العلم الذي يدرس الجذور الاجتماعية للظواهر الدينية، وبيان أثر هذه الظواهر في تطور البناء الاجتماعي. وقد عرّفه "هولت" بأنه المنظمة الدينية الرسمية ذات الطابع والصبغة الدائمة والمستمرة" (شلحت،2003، ص17).

لذلك فإنَّ دراسة علم الاجتماع للدين جزء لا يتجزأ من الجهود البحثية لفهم الظواهر الدينية؛ وما يحيط بها من خصوصيات وملابسات، ولعل الدراسات الفلسفية هي أولى الدراسات التي تصدت بشكل علمي للعلاقة بين الدين وعلم الاجتماع. وبالرغم من وجود بعض التناقضات إلا معيار الدين قد ظل يتجسد لأعلى وأسمى الطموحات الإنسانية، فالقيم الدينية ليست قيماً مطلقة فحسب بل هي قيم إنسانية تهدف في مفهومها العام إلى السمو بمكارم الأخلاق، بل وصفت في بعض الأحايين إلى أنها تعلب دورها متعاظماً في تقدم الأمم والشعوب والدفع نحو التسامح والتعايش والتألف، وبناءً على تلك المعطيات فإننا لا يمكن أن نفصل فكرة الدين عن بناء النظام الاجتماعي، أو إهمال دوره الهام في تغيير السلم المجتمعي(الخشّاب، 1981، ص27).

06- علم الاجتماع الديني بشكل عام الأهداف والأهمية

1.تطور علم الاجتماع الديني

يرى علماء الاجتماع أنَّ تاريخ الفكر الاجتماعي لا ينفصل عن تاريخ الفلسفة الاجتماعية، فقد ارتبط علم الاجتماع في نشأته بالفلسفة، شأنه في ذلك شأن بقية العلوم الأخرى. غير أن هذا الارتباط أخذ يتواضع على مستوى النظرية الاجتماعية، ويتميز في أدوات التحليل وأساليب

البحث الاجتماعي، في حين بقي الارتباط وثيقاً بين الفلسفة الاجتماعية والنظرية الاجتماعية. فعلم الاجتماع لا يستطيع فهم الواقع فهماً صحيحاً من دون إطار فلسفي وديني يرجع إليه في تجريد الظواهر الاجتماعية، والربط بين معطياتها ومعطيات التاريخ والمجتمع، كما أن أية فلسفة اجتماعية تبتعد عن الواقع وتستند إليه تصبح ضرباً من التفكير المجرد الذي يصعب امتحانه. وقد أخذ علم الاجتماع في التطور بعد أن حقق استقلاله الذاتي بفعل تعقيد الحياة الاجتماعية، فتشعب إلى ميادين متعددة يشمل كل منها جانباً من جوانب الحياة المختلفة. وفي نطاق هذا التخصص لم يفقد علم الاجتماع ارتباطه الوثيق بالعلوم الاجتماعية الأخرى، فبقيت بينهما اهتمامات مشتركة وموضوعات متماثلة لاهتمامه بدراسة السلوك الإنساني، فهو في ذلك علم قديم النشأة، يمتد في جذوره إلى ابن خلدون (808هـ/1405م) الذي أرسى الدعائم الأولى لعلم الاجتماع. ويشير في مقدمته بقوله:" وكأن هذا علم مستقل بذاته، فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري، وذو مسائل: وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى"(ابن خلدون،1987، ص234). وعلى ذات النسق يشكل الدين جانباً مهماً من جوانب البناء الاجتماعي للواقع المعيش، كما أنه يعتبر مرجعاً متكاملاً يلجأ إليه الفاعلون الاجتماعيون بتلقائية للتصدي على كل المعوقات التي تعترض حياة البشرية اليوم. لذلك فإنَّ الوقائع الدينية لا تنفك عن الوقائع الاجتماعية والنفسية، ومن هذا المنطلق يجب على كل فرد في المجتمع أن يساهم في بناء هذه الوقائع وتصنيفها ومقارنتها ومعالجتها وفق مقاصد التشريع الإسلامي بعيداً عن النوازع النفسية الأخرى، لأن الفهم الصحيح للدين يجب أن ينصهر في الوظائف الاجتماعية والسياسية والثقافية لكل مجتمع. ومن هنا لا نستطيع حصر وظيفة الدين في ممارسة الشعائر العبادية والتعبدية فقط، بل لابد من أن تخدم النزعة الدينية كل مجالات الحياة.

2. أهداف علم الاجتماع الديني: يهدف علم الاجتماع الديني إلى معرفة حياة المجتمعات البشرية في كافة الجوانب الفكرية والعقائدية، ودراسة الظواهر البيئية الداخلية والخارجية وعلاقاتها بالظواهر السلوكية. وتحليل الأسس الاجتماعية التي تسود في المجتمع المعين محاولاً مقارنة تلك الأنماط البشرية مع العادات والتقاليد السائدة، وتحديد القوانين التي تساعد في تطور المجتمعات البشرية. لذلك فإن أساس أي دين تكمن أولاً في معرفة العقيدة بغض النظر عن تقدمها أو تخلفها (لاش،1996 ، ص22). أيضاً يهدف علم الاجتماع الديني في الربط بين الوقائع الدينية التي لها علاقة بالمجالات النفسية والاقتصادية والسياسية.

3. أهمية علم الاجتماع الديني: يرتبط علم الاجتماع الديني بالوقائع الدينية التي تشمل المجالات النفسية والاقتصادية والاجتماعية. ويسعى في معرفة الظواهر الدينية التي تتجلى في شكل ممارسة الشعائر العبادية. ومن خلال تلك المعطيات يمكن تلخيص أهداف علم الاجتماع الديني فيما يلي:

1. فهم وإدراك الأسس الاجتماعية للظواهر الدينية كالعبادة(الصوم، الصلاة، الزكاة، والحج).
2. فهم وإدراك ماهية الظواهر الاجتماعية التي تبرز في النظم والمؤسسات الدينية مثل الصراع والنزاعات والحروب... وغيرها.
3. ايضاح العلاقة بين الدين والمجتمع.

4. تثبيت الحدود العلمية بين علم الاجتماع الديني والعلوم الأخرى.
5. تفسير الظواهر الاجتماعية وفق الحتمية الدينية.
6. زيادة الاهتمام بعلم الاجتماع الديني وعلاقاتها بالظواهر السيكولوجية.
7. السعي من أجل تحرير علم الاجتماع الديني من الذاتية والانفعالية والعاطفية، والتي غالباً ما تسيطر على المتخصصين في هذا الحقل الدراسي المهم.

4. مناهج علم الاجتماع الديني: لدراسة علم الاجتماع الديني يجب أن تتوفر عدة مناهج، منها(ماسوزار،2005، ص17):

المنهج التاريخي: تسعى الدراسات الاجتماعية لبحث العلاقة بين الوقائع الاجتماعية وسمات التدين، والاهتمام بالنظريات التي تتحدث بتطور الدين، وتطور الجماعات الدينية. لذلك كان المنهج التاريخي من المناهج الهامة لبحث مثل هذه الظواهر.

المنهج المقارن: استخدم(فيبر) هذا المنهج محاولاً معرفة العلاقة بين الأخلاق البروتستانتية، وظهور الرأسمالية المادية عن طريق دراسة الدين والاقتصاد في كل من الهند والصين. وبالرغم من أن هذا المنهج به عدة صعوبات؛ ولكن تمكن العديد من العلماء استخدامه في معرفة النزعة الدينية عند الشعوب والأقوام البدائية، من خلال الإلمام باختلاف المفاهيم الدينية من ثقافة لأخرى.

المنهج التجريبي: استخدم هذا المنهج في الدراسات الدينية وعلاقاتها بعلم الاجتماع. وهنا لا يستطيع الباحث ان يستخدم جماعات ضابطة وأخرى تجريبية لاختبار المتغيرات المتعلقة بالعقائد الدينية.

منهج المسح الاجتماعي: استخدم هذا المنهج في دراسة الانتماء الديني، من خلال ممارسة الشعائر العبادية، ومعرفة اتجاهات الطائفة الدينية والاعتقاد في مفاهيم دينية معينة، وهو ما يفيد في ايجاد ارتباطات بين سمات دينية محددة واتجاهات اجتماعية معينة.

المنهج الاحصائي: يعد المنهج الإحصائي من بين المناهج العلمية التي أضفت الصيغة العلمية على الأبحاث السياسية والاجتماعية والتي تهتم بدراسة وتحليل الظواهر الاجتماعية. ويرجع ظهور هذا المنهج في ميدان العلوم الاجتماعية إلى التعاون السائد بين هذه العلوم والرياضيات في العهد الإغريقي ولا سيما في عهد الفيثاغوريين الذين كانوا يستخدمون الإحصاء في أبحاثهم، غير أن استعماله تعزز وتجلت قيمته العلمية والعملية واضحا في أبحاث كل من (أميل دور كهايم- وهال واكس) حول ظاهرة الانتحار كما ساهمت دراسة كل من (مونتير– وروسو) في تطور المنهج الإحصائي في ميدان العلوم الاجتماعية. كما شمل التطور في المنهج الإحصائي جميع العلوم الأخرى، كالإدارية والسياسية والقانونية والاقتصادية والنفسية وغيرها من العلوم الأخرى.

07- الظاهرة الاجتماعية والدينية المفهوم والمراحل

1. الظاهرة الاجتماعية والدينية في الفكر المعاصر: عرَّف دور كهايم مؤسس المدرسة الاجتماعية الفرنسية الظاهرة الاجتماعية Social phenomenon بأنها:" كل ضرب من السلوك ثابتاً كان أم غير ثابت يمكن أن يباشر نوعاً من القهر الخارجي على الأفراد أو هي: سلوك يعم في كل المجتمع وكان ذا وجود خاص مستقل عن الصور التي يتشكل بها في الحالات الفردية(دوركهايم 1988، ص235). فالقول بأن الدين ظاهرة اجتماعية في المقام الأول؛ أن

المجتمع عندما يتعرض لبعض الأزمات فإنه يحاول جاهداً في الخروج منها، ويبتكر في ذلك الكثير من الحلول فإن المجتمع يقدس تلك الطريقة(جورج،2007، ص57). وتختلف السيسيولوجيا الاجتماعية عن العلوم الإنسانية، أو ما يسميه دوركايم بالظاهرة الدينية، فالسيسيولوجيا تؤمن بأن الدين هو :" مجموع الأفكار والمعتقدات التي تؤلفها أو تتبناها جماعة معينة من البشر حول الحياة والكون، وتعتمدها في تنظيم سلوكها الطبيعية والاجتماعية والسياسية، وفي معرفة التسليم بوجود كائنات ما وراء الطبيعة. وفي هذا يرى "إميل دوركايم" أن تعريف الظاهرة الدينية، يعتبر من أصعب الوظائف التي يمكن أن ينتدب العالم الاجتماعي نفسه للقيام بهذه الوظيفة، ويرجع الأمر في نظره إلى تعدد الممارسات الدينية وكثرتها وتعدد الاعتقادات الروحية واختلافها، هذا بالإضافة إلى وجود الدين في كل أشكال المعرفة الإنسانية العلمية منها والعملية(رايت، 2010، ص134).

وعلى ذلك، أخذت دراسة الظاهرة الدينية Religious phenomenon حيزاً كبيراً في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، وذلك إذا تتبعنا التطور الزمني والسياق الاجتماعي والثقافي للظاهرة. ومن هنا نستطيع القول، أننا ما زالنا بعيدين عن البحث حول الظواهر الدينية وعلاقاتها بعلم الاجتماع الديني لعلاقة الأخير بفلسفة الأديان من الناحية الفكرية والسياسية، وارتباطه كثيراً بالتيارات الدينية المعاصرة (Ronald,1997,p50). فالعلم من خلال منظور علم الاجتماع لا يدرس الميتافيزيقيا فقط، بل أن للأيديولوجيا الدينية طرائقها ومنهجها ولغتها الخاصة في تحليل الظواهر التي تختلف عن أدوات علم الاجتماع. فالضرورة يتطلب وجود منهج متغير يحلل الدين من حيث أنه وضع إلهي سائق إلى ممارسات يومية من خلال منظور اجتماعي. فالدين مقارنة بالحياة الاجتماعية هو سلوك يومي يكتسبه الإنسان في حياته، وفي محتواه الاجتماعي التاريخي له وظيفة في المجتمع؛ لذلك فإن كان الاسلام يظهر بشكل واحداً كما تبرزه نصوص القرآن والسنة، فإن الممارسات التاريخية والاجتماعية تتعدد وتختلف معتمدة على تفسير الخاص والعام للنصوص، فالظاهرة الدينية ليست استثناءً، فهي خاضعة للتفسير الواقعي (Edmond,1900,p55).

2. مراحل الظاهرة الدينية: بناءً على تلك المعطيات فإنَّ الظاهرة الدينية تمر بثلاث مراحل رئيسة، ولكل مرحلة خصائصها، وهي علي **النحو التالي**:

المرحلة الأولي: بدأت دراسة الظواهر الدينية في هذه المرحلة عن طريق الاستطراد فقط، بمعني أن الباحثين الأوائل لم يتجهوا إلي دراسة النظام الديني في ذاته، وإنما كانوا يتطرقون إليه أثناء تعرضهم لوصف الحياة الاجتماعية للشعوب المختلفة، بل كانوا يقتصرون على وصف المعتقدات الدينية في رقعة محدودة من الأرض(حسن، 1989، ص432).

ويرى الخشاب:"... وبمرور الوقت اتجهوا إلي المقارنة بين المعتقدات في أكثر من بلد أو إقليم نتيجة لكثرة الرحلات والأسفار التي قاموا بها، ونتيجة لزيادة الاتصالات التجارية والسياسية والحربية بين المجتمعات المختلفة، سعوا إلى معرفة قيمة التفاضل بين الأديان، وكانوا في أغلب الأحيان يحورون الديانة التي يدينون بها علي أنها أفضل الديانات، وبذلك ابتعدوا عن الجانب العلمي كثيراً..." (الخشاب2005، ص30)، وقد تفرغ عن هذا الافتراض الاعتقاد بأن الجماعات

الإنسانية الأولي كانت تحيا علي نفس النمط من الحياة الدينية الذي نجده في الجماعات المتأخرة، ومن ثم انحصر مجهود العلماء والمفكرين في ترتيب الجماعات حسب درجة كمالها في المعتقدات، فكانوا يبدؤون باختيار الشكل الأول البسيط للظاهرة الدينية حسبما تسمح بذلك معلوماتهم التي جمعوها من مجتمعات مختلفة، ثم ترتب بعد ذلك الأشكال والصور الدينية بشكل يتفق مع مفاهيمهم وتصوراتهم الدينية (عزالدين،2011، ص422).

أما المرحلة الثانية: اتجه الباحثون في الثلاثينيات من القرن العشرين إلي استخدام المنهج العلمي في دراسة المعتقدات الدينية، وابتعدوا عن النظريات الظنية، وحاولوا الكشف عن الكيفية التي تؤثر بها النظم الدينية في مظاهر الحياة الاجتماعية، خاصة في بناء العلاقات الإنسانية(حسن، دت، ص 423). ويقول أبو زيد:" اتجه بعض علماء الأنثروبولوجيا إلي دراسة المجتمعات البدائية للتعرف على الطريقة التي ينظر بها هذا القطاع المهم من قطاعات المجتمع البشري الكبير إلى الكون، وموقفه منه على اعتبار أن هذه النظرة هو بمثابة صورة واحدة من صور البحث عن المجهول، ومحاولة الكشف عن أسرار الكون الذي يحيط به"(أبو زيد، 2001، ص45). وفي ذات السياق ظهر فرع متخصص من فروع علم الاجتماع عرف ب(علم الاجتماع الديني) يختص بدراسة الظواهر والنظم الدينية من حيث نشأتها، والوظائف التي تؤديها (جعفر،1988، ص432). وبناءً على ذلك، ظهر تياران في العقدين الماضيين أحدهما: يبحث عن تفسير إيجابي للدين؛ ويشترك فيه باحثون سعوا إلى إيجاد أسس مشتركة بين الواقع المتغير والنصوص الدينية، أو التوفيق بين رؤية العقيدة الإسلامية؛ والواقع الاجتماعي. والآخر سلبي ينظر للدين بأنه أفيون الشعوب، وأنه محدد لحياة الإنسان.

النزعة الدينيةReligious tendency: تمتاز النزعة الدينية بالعديد من الينابيع الفطرية التي تساعد في تأصيل مفهوم فكرة التدين عند البشرية على ضوء الظواهر النفسية الباطنية والظاهرية للمؤسسة الدينية الاجتماعية، والتي تتمثل في الآتي:

الفطرة السليمة: إن نزعة التدين هي حقيقة واقعية اجتماعية رافقت البشرية منذ نشأتها حيث لم تخل جمعية بشرية من دين يلائم طباعها ويوافق بيئتها، وقد قضت البشرية قروناً طويلة لم ينفك من محاولة معرفة منشأها ومصيرها. وعندما بدأ الإنسان يتعامل مع الظواهر الطبيعية المحيطة به بهرته الأسرار الكونية التي تسير على نسق واحد فأدرك أن هنالك قوة غير طبيعية مسيطرة على هذا الكون. ثم اهتدى إلى سلم الاعتقاد بوجود الله عزّ وجلّ، لقوله تعالى:{ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (الروم:30). فالله سبحانه وتعالى خلق البشرية خلقاً سوياً وفضلها عن سائر مخلوقاته، بنعمة العقل والقدرة على التعقل والادراك، فكان حقاً لله أن يحاسب الانسان على ما يفعله خيراً أو شراً لقوله تعالى:{ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ} (الزلزلة:7-8). ومن دواعي الفطرة السليمة أن يكون المؤمن قوي الإيمان، قال تعالى:{ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (فصلت:53). فالله سبحانه وتعالى قد حسم أمر الفطرة السليمة فدعا الإنسان إلى التدبر والتأمل في ملكوته، لقوله تعالى:{ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً

}(النساء:82)، ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"(العسقلاني، 1213ه، ص1234). فالإيمان هو ثمرة هذا التفاعل الفطري، والقلب بحاجة الى عناية فائقة؛ ونصيب كبير من الاهتمام حتى لا يصدأ، وبالنظر إلى هذا الكون من نظام دقيق ومحكم يقتضي وجود عقل رصين وفطرة سليمة تدحض وتبطل كل الافتراءات والشكوك التي تتحدث عن بشرية القرآن الكريم.

يقظة الضمير والوجدان: ذكر بعض مؤرخي الأديان أن جميع الاقوام المتحضرة والبدائية كانت تؤمن بوجود قوة فوق قوة الطبيعة. فقد أشار(بنجامين كونستان،1975، ص12) في كتابه تاريخ الأديان:" إنَّ الدين من العوامل التي سيطرت على البشرية منذ قرون طوال، وأنَّ الاحساس بالنزعة الدينية من خواص الطبيعة البشرية..."، كما اعتبر بعض علماء الاجتماع أن نزعة التدين من أهم القواعد التي قامت عليها الجمعيات البشرية، لأنها تتعلق بالوجدان العقلي في شكل أوامر إلهية باطنة وظاهرة. ولتكملة تلك الأدوار لابد من إيقاظ الضمير والوجدان عند أداء الواجب فمن اقترف ذنباً عليه إظهار الندم، لأن التعاليم الدينية تتأصل في النفس الإنسانية بالممارسة والتطبيق.

قوة النزعة الإيمانية: إن الدين هو نظام إلهي اجتماعي تقوم على الحكمة البالغة والتعاليم السامية، فإن الحاجة إلى الدين أشد وأقوم، فكلما نظر الإنسان إلى نفسه كلما زادت حاجته إلى الدين لكبح هوى النفس الذي يخالف الدين لأن النفس أمارة بالسوء لقوله تعالى:{ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (يوسف:53). ويرى الفيلسوف(شوبنهار):" أنَّ الحياة عبارة عن رغبات ، وأن جدال الناس حولها جعلهم يؤثرون على أنفسهم، وكل فرد من أفراد المجتمع يريد لنفسه المنفعة، فجلبوا على حب النفس والهوى"(الهاشمي، 1963، ص 41). ونخلص من ذلك إلى أنه إذا توفرت النزعة الايمانية الخالصة يستطيع كل فرد أن يكبح جماح شهواته ورغباته، والاحتفاظ بالأخلاق الفاضلة التي تجعل الإنسان في مصاف العصمة الخالدة. فالدين هو الذي ينظم حال معتنقيه ويكفل لهم الحرية في ممارسة شعائرهم العبادية والتعبدية قال تعالى:{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} (الزمر:53). فعلى المؤمنين أن يحمدوا الله في رحمته ومغفرته لذنوبهم دون قيد أو شرط مادي، والتوبة والعمل الصالح، فما من سورة في القرآن الكريم إلا ودعت إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتوجه إلى الكمال في الإيمان، قال تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ}(المؤمنون رقم:96).

فالتدين من الظواهر الاجتماعية التي وجدت في المجتمعات البشرية منذ القدم، وقد ذكر محمد عبده(1980، ص62):" أن كل إنسان مهما علا فكره وقوي عقله، أو ضعفت فطنته وانحطت فطرته يجد نفسه مغلوب لقوة أرفع من قوته، وقوة من حوله من الكائنات الأخرى، وأنه محكوم بإرادة تصرفه وتصرف ما هو فيه من العوالم، قد لا تعرفها معرفة العارفين، ولا تتطرق إليها إرادة المختارين، تشعر كل نفس أنها مسوقة لمعرفة تلك القوة العظمى، فتطلبها من حسها تارة، ومن عقلها تارة أخرى، ولا سبيل لمعرفة كنهها". وقد تتجلى ظاهرة التدين في الآتي:

أولا: أن ظاهرة التدين ظاهرة عامة تشترك فيها كل الجماعات البشرية على مدى تاريخها الطويل.

ثانيا: أن مبعث هذه الظاهرة، هو إحساس كل فرد أو جماعة بأن هناك قدرة أو قدراً تتصرف فيه، وفيما حوله تصرفاً يلفت النظر ويبهر العقل.

ثالثا: أن العقول حينما تبحث عن الحقيقة يجب أن يكون لها مدد من السماء، حتى تتفق على شيء واحد تؤمن به وتخضع له(الوحي).

رابعا: يجب أن يكون الإنسان ملتزماً في حياته الدنيا ويمارس كافة شعائره دون الاعتماد على الآخرين حتى لا يضل ولا يشقى.

خامسا: اقتضت حكمة الله سبحانه تعالى أن يكون رحيماً بعباده، وأن يرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين، يدعونهم إلى الدين الحق، وإلى الطريق المستقيم.

وفي خضم تلك المعطيات انقسم مؤرخو الأديان حول ظاهرة التدين إلى فريقين (الهاشمي،1963، ص21):

-فريق ذهب إلى أن الدين بدأ في صورة الخرافة والوثنية، وأن الإنسان أخذ يترقى في دينه على مدى الأجيال حتى وصل إلى الكمال فيه بالتوحيد، كما تدرج نحو الكمال في علومه وصناعته.

فريق ذهب إلى بطلان المذهب الأول، وذكر أن عقيدة الخالق هي أقدم ديانة ظهرت على هذه البسيطة، ولا يمكن أن تنفك عنها كل الجماعات والأقوام. أما الوثنية فهي حالة طارئة، أو مرض أصيب البشر عندما خرجوا عن طاعة الخالق، وهذه النظرية تسمى بنظرية(فطرية التوحيد وأصالته)، وقد انتصر لهذه النظرية جمهور من علماء الأجناس، وعلم النفس(دراز، 1970، ص108).

فالوازع الديني والأخلاقي يمثل المقوم الأساس الرئيسي لكثير من المجتمعات، إذ أن لكل مجتمع تركيبته الخاصة ومعتقده المعين، وشعائر وطقوس دينية وأطر أخلاقية معينة، تتعدد مسمياتها وطرائق ممارستها. وبناءً على هذا التوافق أجمع بعض الباحثين الاجتماعيين على أهمية التدين في حياة الإنسان، فرداً كان أم جماعة. لهذا بدأ المعتقد الديني بسيطاً وأخذ يتطور حتى وصل إلى درجة من الكمال في الديانات الإلهية لخدمة أهدافه السامية. فالدين لا يقتصر على إقامة الشعائر الدينية فقط، بل يشمل أعمال العباد وأقوالهم وتصرفاتهم اليومية، سواء كان ذلك في بيوتهم أو في أماكن عملهم، كما يعد عنصراً أساسياً من عناصر تنشئة المجتمع، فالوازع الديني والأخلاقي يؤثران على سلوك الفرد وطبيعته ويحققان له السعادة الأبدية، فإذا تمكن الإيمان في قلب كل مؤمن، فإنه يكتسب خلقاً جديداً يهذب سلوكه وينقيه من الشوائب ويجعله متسامحاً محباً الخير لنفسه ولمجتمعه نابذاً أعمال الفسق والرذيلة(جودت،1997، ص32). فالنزعة الدينية والقيم الأخلاقية الفاضلة يشكلان حجر الأساس في توجيه وتشكيل سلوك الإنسان، حتى لا يقدم المؤمن الصادق على ارتكاب الجريمة، ولا يعصى ربه. هذا الأمر لم تكتشفه الأنظمة الغربية بالرغم مما وصلت إليه من علم وقوانين جنائية ونظم اجتماعية، ففي القانون الوضعي إذا انعدم أحد أركان الجريمة سقط الحق في الدعوى الجنائية ولا يعاقب المجرم، ولو افترضنا أن رجلاً هم بارتكاب جريمة ثم عدل عنها لأحد الموانع والأسباب الخارجية عن إرادته كعدم وجود الشخص المراد قتله مثلاً، فالقانون الوضعي لا يصل إليه بطبيعة الحال ولا يعالج الواقعة... بينما الشريعة الإسلامية تعالج الجريمة علاجاً ربانياً، إذ بدأت بمجاهدة الآثام والمعاصي وهي داخل القلب قبل خروجها

للقضاء عليها، لهذا فإن الوازع الديني يعمل على مقاومة الانحراف والجريمة قبل حدوثها فالضمير يجعل الإنسان دائماً مراقباً لسلوكه محذراً عن ارتكاب الجريمة، وبتتبع الكثير من القضايا نجد أن مرتكبيها يقومون بعملية الاعتراف وبتقديم أنفسهم طواعية إلى أجهزة الشرطة والقضاء، وذلك بوحي الضمير الذي لم يهدأ ولم يسكن بل يطالب بعقاب الذات، فمجرد معرفة الإنسان بأن الله يعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد لا يسوق نفسه إلى ارتكاب الجريمة، ولكن بطبيعة الحال فالإيمان والأخلاق درجاتهما متفاوتة من إنسان إلى آخر يزيدان بالطاعات وينقصان بالمعاصي، وفي هذا يقول الغزالي(1987، ص28):" بأنَّ الإيمان قوة عاصمة من الدنايا وطاقة يحرك بها الإنسان فيطارد بها الجريمة ... وليس للإيمان مفهوماً معيناً ساكناً في ضمير راقد أو في قلب حاقد ولكن هو طاقة يتحرك بها الإنسان ويؤثر في نفسه ومجتمعه..."(ديورانت،1980، ص2).

فإذا تتبعنا الأطوار التي مرت به البشرية في مراحلها المختلفة، نجد أنها أشبه ما تكون بالأطوار التي مرت به العقيدة في مراحلها الأولى، والتي بدأت بمرحلة العبادة النقية، ثم تدرجت إلى مرحلة الرموز والطقوس عندما عبد الإنسان النار والمظاهر الطبيعية الكونية، وأخيراً عبد الإنسان الوثن والصنم، وبتقدم الإنسان أدرك حقيقة الخير والشر، وأن الخالق هو الله سبحانه وتعالى، ومع مضي الأيام أدرك العلماء أن أساس كل شر هو عبادة غير الله عزّ وجلّ، وقد يحتاج الإنسان في كل مرحلة من هذه المراحل إلى غذاء روحي يتناسب مع ما هي عليه من درجة النمو الفكري. وعندما بلغت البشرية تمام نضجها وغاية رشدها أرسل الله رسله وأنبياءه ليحملوا هذا الدين إلى البشرية كافة لقول رسول صلى الله عليه وسلم :" مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنت بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة. قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"(العسقلاني1213ه، ص1271) معنى هذا، أن الديانات السماوية تشكل في مجموعها صرحاً واحداً، اشترك الأنبياء جميعاً في بنائه ، فما من نبي بعث إلا وقد وضع فيه هذه اللبنة، هكذا شاءت حكمة الله تعالى أن يرسل النبي صلى الله عليه وسلم بدين أعلى ما يكون هداية وإرشاداً، وأسمى ما يكون تشريعاً وتبصيراً لقوله تعالى: {... الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(المائدة: 3)، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين لقوله تعالى: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً} (الأحزاب:40).

08- أهم الظواهر السيكولوجية

1. الظواهر النفسية: ذهب بعض علماء النفس إلى القول بأن الدين حالة نفسية، فدعوا بأن المنهج التاريخي ليس كاملاً ولابد من اكماله بالأبحاث النفسية، غير أن هؤلاء العلماء وقعوا في خطأ كبير عندما ساووا بين الدين والحالات النفسية لأن التحليلات النفسية لن تعطينا بجوهر الدين وحقيقته(عبدالعزيز،1999، ص275). فعلم النفس الديني هو العلم الذي يبحث في الظواهر النفسية self-phenomenon التي تطرأ على الشخصية الإنسانية كالأمراض والشهوات

والغرائز؛ كما يبحث عن حقيقة النفس البشرية، ويسعى إلى حكم رشيد للوصول بالإنسانية إلى تزكية النفس الرشيدة، باستخدام كل الوسائل والأساليب والمفاهيم الدينية التي تفسر سلوك الإنسان (Rotter, B1972,p34)The human behavior interpretation، قال تعالى:{ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}(الشمس:8)، وقال تعالى:{ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً}(الإسراء:13). أيضاً يهتم بتحليل ودراسة النشاطات الفردية الدينية وعلاقاتها مع البيئة الطبيعية، والكشف عن عمليات التوافق النفسي والاجتماعي المنبثق من المضامين الخاصة بالدين للكائن الحى Organism، كما يدرس خبرات الفرد الدينية The Religious experience والعمليات العقلية وعلاقاتها بالنظر والتفكر والتأمل في آيات الكون، لذلك هو معرفة تطبيق المنهج العلمي على حقائق الحياة المختلفة مثل العبادة وغيرها. فالمؤمن مكلف بعبادة الله وحده؛ والإيمان به، ولا ييأس من روح الله إلا الكافرون، لقوله تعالي:{يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}(يوسف:87). فإذا كان القلق والخوف والاكتئاب هو الإحساس بانعدام الأمن المجتمعي، فإنَّ الله فضل المؤمنين بالإيمان وطمأنينة النفس، لقوله تعالى:{الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ}(الأنعام:82). ولا شك أن المعرفة والعلم هما عمودان يوقظان الهمة في سلوك الفرد والجماعة؛ حيث ترغب النفس في التأصيل والوقاية من الأمراض النفسية، قال تعالى:{ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}(فاطر:28).

ومما سبق من التعريفات يمكن القول أن الظاهرة السيكولوجية تشمل السلوك الموضوعي Objective behavior أي النشاطات التي يزاولها الفرد، والذي يتضمن سلوك الفرد الباطني الذي لا يمكن إدراكه إلا للشخص نفسه، ويتعذر على الآخرين ملاحظته كالشعور باللذة والألم والتفكير والتحليل. كما يعنى بدراسة الظواهر السيكولوجية كالاتجاهات النفسية، ودوافع الإنسان ومشاعره وتصوراته المختلفة. وعلى ذات النسق فإنَّ علم النفس الديني هو دراسة سلوك الإنسان من حيث هو كائن حي متفاعل مع المجتمع الذي يعيش فيه ويتأثر به ويؤثر فيه، ويتضمن ذلك النشاطات الذهنية والحركية التي تظهر في تعامل الفرد مع بيئته. وقد أشار"Rotter,1872,p14" إلي أن الإفراد ينقسمون إلي قسمين، هما:

-أصحاب التوجه الداخلي Internal Orientation: وهم الذين يهيمنون علي أنفسهم ومصائرهم، وشعورهم بالمسؤولية الاجتماعية.

-أصحاب التوجه الخارجي External Orientation: وهم الذين يعتقدون أنهم لا حول لهم ولا قوة وأن مصائرهم تحت رحمة القدر ، ويعتقدون أنهم لا يتمتعون بالمسؤولية الكاملة عما يحدث لهم.

ويقصد من خلال تلك المفاهيم أن هنالك أفراداً يعزون نجاحهم إلي مجهوداتهم الداخلية أو الخارجية التي تحدد سلوك كل فرد في ضوء النظام الاجتماعي الذي يربط حياة كل فرد ،لأن الدوافع النفسية كثيراً ما تميز الإشاعات الفردية التي تقوم علي أساس بيولوجي نتيجة للخبرة التي

يكتسبها الفرد تجاه المجتمع ، أو الغريزة التي يتمتع بها الفرد وسط البيئة التي نشأ فيها، أو الطريقة التي تحدد اختبارات الفرد نحو الطاقة السلوكية ويتطلب ذلك عدة متغيرات منها:

1. الطاقة السلوكية Behavioral Energy: وهي أمكانية تمييز السلوك في كافة المواقف المختلفة، في ضوء الاستجابة المباشرة أو غير المباشرة ويشمل هذا السلوك أفعال حركية وادراكات، وسلوكيات لفظية وتعبيرية انفعالية Emotional Reactions، وكل هذه الأنماط السلوكية يمكن قياسها وملاحظتها من خلال الملاحظة والمشاهدة .

2. التوقع Expectancy: وهو التوقع لأنواع معينة من السلوك التي تؤدي إلي إشباع حاجات الفرد، وهو احتمال وقوع الحدث.

3. قيمة التعذيرReprimand Value: وهي درجة تقدير الفرد لحدوث ظاهرة معينة تؤثر في اتجاه الفرد أو في نوع السلوك.

4. الموقف السيكولوجي Psychological Situation: أي أن الفرد كثيراً ما يتفاعل مع مظاهر بيئته الداخلية والخارجية، ومع خبرته الفردية التي تتمثل في سلوكه واتجاهاته ومعتقداته الدينية.

فالظواهر السيكولوجية قسمان:

أولاً: الظواهر الخارجية: أي النشاطات التي يمكن ملاحظتها وتسجيلها وبحثها وتحقيقها: مثل السلوك الحركي والتعبير اللغوي، كالإيماءات والكلام والمشي والجري والابتسام واللعب ...الخ. فعلم الاجتماع الديني يربط بين الظواهر الموضوعية الذي يبين حكم الدين فيه من خلال ممارستها وعلاجها وفق أحكام مقاصد التشريع الإسلامي.

ثانياً: الظواهر الداخلية: أي الظواهر والنشاطات التي لا يمكن ملاحظتها مثل الألم والخيال والفكر، فمن خلال الوقائع الباطنية المتدرجة في حياتنا اليومية نجد أن هنالك حس باطني يطلق عليه الشعور الداخلي(محمد،1959، ص166).

وقد درج بعض الباحثين على الفصل بين الظواهر الداخلية الذاتية؛ والظواهر الخارجية الموضوعية، فأطلقوا على الظواهر الداخلية الظواهر النفسية لأنها تتعلق بجانب النفس. أما الظواهر الخارجية فتسمى بالظواهر الجسمية لأنها تتعلق بجانب الجسم. فالواقع أنه ليس هناك جانب نفسي إلا ويصحبه نشاط جسمي، وهذا ما نلاحظه في حالة الانفعالات النفسية -Self emotions، وهى حالة وجدانية داخلية وجسمية خارجية تحدث للكائن الحي عندما تصاحبه بعض المتغيرات الجسمية في حالة التنفس والنبض القلبي، والإفراز الغريزي التي تلازمها إشارات وجدانية وعقلية (الطائي،1958، ص19).

2. الظواهر الصحة: إن أغلب أدبيات الطب النفسي السريري ترى أن الدين هو المسؤول الأول عن ظهور الأعراض النفسية والعصبية لدى المرضى النفسيين، وقد اعتبر "فرويد" الدين بمثابة اضطراب الوسواس القهري الذي أصاب البشرية جمعاء، بل فسر الاعتقادات الدينية بأنها لا تنبع من التجارب المتراكمة للبشرية، وليست هي نتاج للتفكير السليم، بل هي إشباع لأقدم وأقوى وأشد رغبات الجنس البشري إلحاحاً، وأيضاً يرى أن قوة النزعة الدينية تكمن في قوة الرغبة في اشباع الحاجة الملحة (برينتيس،2004، ص45). وقد وافقه في ذلك" ألبرت اليس Ellis Albert" حين اعتبر التدين وجهاً من وجوه التفكير الاضطراب الانفعالي، وأن البلسم الشافي من الاضطرابات

الانفعالية هو ألاّ يكون الفرد متديناً، وأنه كلما كان الشخص أقل تديناً كلما كان أكثر استقامة من الناحية الانفعالية(باستيد، دت، ص43). وبالرغم من تلك التصورات الخيالية إلاّ أنّ هنالك آراء تفيد بأن الدين يمكن أن يكون مفيداً للصحة النفسية وأن الدين لا يعني بالضرورة المعاناة من اضطرابات عصبية، بل قد يكون عاملاً مساعداً للناس على أن يعيشوا في السلم الاجتماعي رغم قسوة الحياة. فالشخص المتدين جوهرياً يحمل المعتقدات الدينية في داخله، ويعيش وفقاً لهذه المعتقدات بغض النظر عن الضغوط الاجتماعية، أو الخارجية، وبغض النظر عن أي نتائج ذاتية أخرى، فالتدين الجوهري يمثل درجة أعلى من الالتزام العقلي، ويتم من خلالها النظر إلى الدين على أنه هدف أسمى في حد ذاته؛ حيث تتم ممارسته بتجرد. وعلى هذا الأساس يتم التركيز بصورة أكبر على الأخلاق والانضباط والثبات، وعدم الاستجابة للضغوط الخارجية الداعية للانحراف(برينتيس،2004، ص45). أما الشخص المتدين ظاهرياً هو ذلك الشخص الذي يستعمل الدين للوصول إلى منصب أو لتأمين حماية لشخصه أو للتبرير الذاتي أو للحصول على الحظوة الاجتماعية، وبالتالي فهو يتخذ من الدين وسيلة نفعية مركزة على ذاته. فالصحة النفسية تُعنى بدراسة الاتجاهات النفسية، ودوافع الإنسان ومشاعره وتصوراته المختلفة، أو دراسة سلوك الإنسان من حيث هو كائن متفاعل مع المجتمع الذي يعيش فيه؛ ويتأثر به ويؤثر فيه، ويتضمن ذلك النشاطات الذهنية والحركية التي تظهر في تعامل الفرد مع بيئته. ويقصد من خلال تلك المفاهيم أن هنالك أفراداً يرجعون نجاحهم إلى مجهوداتهم الداخلية Extrinsic أو الخارجية Intrinsic ، التي تحدد سلوك كل فرد في النظام الاجتماعي، لأن الدوافع النفسية كثيراً ما تميز الإشاعات الفردية التي تقوم على أساس بيولوجي نتيجة للخبرة التي يكتسبها الفرد تجاه المجتمع أو البيئة الطريقة التي تحدد اختبارات الفرد نحو الطاقة السلوكية.

يساهم

09- أساليب علاج الظواهر السيكولوجية و التدين أية علاقة

1. الاهتمام بالسمات الشخصية للفرد: هناك علاقة موجبة بين التدين من جهة، وبين تحمل الفرد لمسؤوليته الذاتية سواء الداخلية أو الخارجية، فالأفراد المخلصين في تدينهم يبدون اهتماماً أكبر بالقواعد الأخلاقية؛ ويقظة الضمير وانسجام الأقوال والأفعال، وهم الذين يشعرون بالسعادة، والشعور بالمسؤولية وضبط الذات والتسامح والمرونة مقارنة بأولئك الذين لا حاجة لهم بالالتزامات الدينية. ويتميز المتدينون تديناً حقيقياً بالقدرة على التعبير عن انفعالاتهم بشكل سليم، وفي حل بعض المشكلات المجتمعية، لأنهم يبدون اتجاهاً محافظاً يوافق سلوكهم العام؛ أما الأفراد الذين لا يدينون بالدين ويطلقون العنان لشهواتهم وغرائزهم النفسية فهم أكثر عرضة للمشكلات الاجتماعية. فالتدين يرتبط بالسمات الإيجابية للشخص ظاهراً وباطناً، ويضاف إلى ذلك ارتباطه بضبط الذات والبعد عن القلق أو أي اضطراب سلوكي يخرج عن التزام الشخص بالاعتقادات الدينية الصحيحة(أنطونيني،1998، ص39).

مراقبة الاتجاهات النفسية لدى الفرد: الاتجاهات النفسية هي حالة من الاستعدادات العقلية والعصبية التي تتكون لدى الفرد من خلال التجربة التي يمرّ بها الفرد، وتؤثر هذه الحالة على استجابات الفرد لسلوكه إزاء جميع المواقف (Allpoort,1954,p55). كما عرّفه اسكندر بأنه:"

مفهوم يعبر عن محصلة استجابات الفرد نحو موضوع ذي صفة اجتماعية من حيث تأييده للموضوع أو معارضته"(اسكندر،1960، ص295). وهنالك من عرّفه بأنه:"استعداد عقلي متعلم للسلوك بطريقة ثابتة إزاء موضوع معين، أو مجموعة من الموضوعات" (الأشول،1999، ص85)، وعرّفه ثرستون بقوله:" أنه درجة الشعور الإيجابي أو السلبي المرتبط ببعض الموضوعات السيكولوجية"(Maase,1948,p106).

لذلك يرى(ألبورت) أنَّ الاتجاه عبارة عن حالة عقلية وعصبية ثابتة ثبوتاً نسبياً، ويتصف بالديمومة النسبية، فكل شخص في مراحل بلوغه قد يحمل اتجاهاً ايجابياً نحو القيم الدينية، وقد يتغير سلوكه من موقف إلى آخر حسب الحالة الانفعالية المتغيرة. وبطبيعة الحال لا يمنع من كون الاتجاه ديناميكياً متغيراً في طبيعته، ولكن هذا التغير يحدث على المدى الطويل نتيجة لما يقع على الشخص من مؤثرات داخلية وخارجية نتيجة لتفاعله مع البيئة والاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها(سويف،1966، ص128). ومن هنا نستطيع أن نلمس صفة الثبات في الاتجاه اذا ما قورن بحالة الانفعال الذي هو حالة نفسية طارئة. وبما أن الاتجاه ليس سلوكاً في حد ذاته، ولكنه حالة يدفع نحو السلوك في بعض الأحيان، لأن السلوك الظاهري للإنسان قد لا يؤكد اتجاهه الحقيقي، فهنالك العوامل الاجتماعية قد تجعل الشخص يحجم عن التعبير الصريح عن اتجاهه الحقيقي إزاء الموضوعات الشائكة (كينغ،2005، ص33). وخلاصة القول، فإنَّ مفهوم السلوك هو بمثابة دوافع لا شعورية خفية لا يدل دلالة قاطعة على قدرة الإنسان في التمييز بين الاتجاه والعاطفة. أما الاتجاه أكثر عمومية وشمولاً، لأنها تشمل عدة جوانب عقلية ومعرفية وإدراكية، بينما العاطفة تقتصر على الجانب الوجداني والانفعالي.

الخاتمة

أكدت الدراسة أنّ لعلم الاجتماع الديني علاقة وثيقة بالظواهر النفسية الداخلية والخارجية التي تنظم ممارسات الإنسان في الحياة، لذلك وضعت الأديان السماوية قواعد ونظم وتعاليم لضبط القيم الدينية والاجتماعية لتحقيق وظيفة الخلق على هذه البسيطة. لهذا فإنَّ علم الاجتماع الديني يعبّر عن قيم الدين في تلبية الحاجات الاجتماعية والنفسية والثقافية والفكرية، لأجل المحافظة على وحدة تماسك المجتمع البشري. وعليه فإنَّ مكانة علم الاجتماع الديني ترتبط بالمعارف الدينية للتميز بين الظواهر الدينية الداخلية والخارجية التي توضح العلاقة بين قوى الدين والقوى البشرية. كذلك اهتم علم الاجتماع الديني بالظواهر الدينية للإجابة عن الأسئلة حول وظيفة الدين في الحياة، وذلك بتتبع التطور الثقافي للظاهرة الدينية. فالدراسة الاجتماعية للدين هي بمثابة البحث عن أساليب علاج الظواهر السيكولوجية.

التوصيات

1. إنشاء مراكز تُعنى بدراسة الواقع الاجتماعي الديني لمجابهة التحديات الماثلة اليوم.
2. تجديد الخطاب الاجتماعي الديني.
3. وضع مناهج تعليمية تُعنى بعلم الاجتماع الديني في كافة المراحل الدراسية.

قائمة المراجع:

1.القرآن الكريم

2. كتب الأحاديث
3.أبو زيد، أحمد(2001). نظرة البدائيين إلي الكون، منشورات ضفاف، ط2.
4.آرنست رينان(1999). تاريخ الأديان. مكتبة العلم، القاهرة،ط2.
5.اسكندر، نجيب وآخرون (1960). الدراسات العلمية للسلوك الاجتماعي، مؤسسة المطبوعات الحديثة، القاهرة ،ط2.
6.الأشول، عادل عز الدين(1999). علم النفس الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،ط1.
7.الأصفهاني، راغب(1412هـ). المفردات في غريب القرآن، مكتبة دار العلم القاهرة، ط2.
8.أنطونيني، فاوستو(1998). عنف الإنسان أو العدوانية الجماعية، معهد الإنماء العربي، بيروت ط1.
9.باستيد، روجيه(2004). مبادئ علم الاجتماع الديني، ترجمة محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،ط1.
10.بايرون، بلاند(2003). التقارب بين الدين والسياسة.
11.البخاري، محمد بن إسماعيل(1313هـ).صحيح البخاري، دار القلم، القاهرة، ط2.
12.برنار، هاش(2006). نظرية الرب: الكون، هاربر كولينز، نيويورك،ط1.
13.برود، جيفري (2003). أديان العالم : رحلة اكتشاف، مطبعة ساينت ماري، القاهرة، ط1.
14.برينتيس، كريغ(2003). الدين والخلق الأعراف. جامعة نيويورك، نيويورك،ط1 .
15.بنجامين كونستان(1975). تاريخ الأديان، دار القلم، دمشق، ط2.
16.الترمذي، محمد بن عيسى(1397). الجامع الصحيح، مطبعة مصطفى ألبابي الحبلى، القاهرة، ط2.
17.التل، أحمد يوسف(بدون تاريخ). الإرهاب في العالمين العربي والغربي، دار العلم، بغداد، ط1.
18.جعفر، محمد كمال إبراهيم(1988). في الدين المقارن، دار الكتب الجامعية القاهرة، ط2.
19.جليل، نبراس زكي(2012). فلسفة الدين مقول المقدس بين الايديولوجيا واليوتوبيا وسؤال التعددية منشورات ضفاف، ط2.
20.جورج، قرم(2007). المسألة الدينية في القرن الواحد والعشرين". تعريب، خليل أحمد خليل، دار الفارابي، بيروت، ط2.
21.حسن، سمير إبراهيم خليل(2001). الدين خرافة أم علم، دار الساقي، بيروت، ط1.
22.خرشي، زين الدين(2012). مدخل إلى علم الاجتماع، دار العلوم، ط1.
23.الخشاب، أحمد(2005). علم الاجتماع الديني، مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية، دار التراث الاسكندرية، ط1.
24.الخشاب، سامية (1981). النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة، دار النهضة العربية، القاهرة، ط2.
25.خليل حسن، سمير ابراهيم(2001). الدين خرافة أم علم، دار الساقي، بيروت، ط1.

26.دراز، محمد عبد الله(1990). الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ط2.
27.دوركايم، إميل(1988). قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة: محمود قاسم والسيد محمد بدوي دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، مصر،ط2.
28.دينان، مارسيل(2007).اختلاف الميثولوجيا، تحقيق مصباح الحمد، المنظمة العربية للترجمة دمشق، ط1
29.ديورانت، وول (1965). قصة الحضارة، ترجمة ذكي بخيت ومحمد بدران، القاهرة، دار العلم، ط2.
30.رايت، لوليم كلي(2010). تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد أحمد، دار التنوير، ط2.
31.سويف، مصطفي(1966). مقدمة لعلم النفس الاجتماعي، دار المعرفة، القاهرة، ط1.
32.شلحت، يوسف(2003). نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني، دار الفارابي، لبنان، ط2.
33.الطائيء، نزار مهدي(1958).مقياس السلوك الديني، شركة الربيعات لنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.
1عبدالعزيز، رشاد علي(1999).علم النفس الدعوة، المكتب العلمي للكمبيوتر للنشر والتوزيع الاسكندرية، ط2.
34.عزالدين، عناية (2011). علم الاجتماع الديني، الإشكالات والسياقات لمؤلفيه: الدكتور سابينو أكوافيفا، والدكتور إنزو باتشي، دار كلمة، أبو ظبي، ط2.
35.العسقلاني، ابن حجر(1213ه). فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار العلم القاهرة، ط3.
36.علال، خالد كبير(1998). التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي، دار الأمل، دمشق، ط1.
37.غولدتسهير(2004). العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة علي حسن عبد القادر، وآخرون، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى، بغداد، ط1.
38.غيرتس، كيلفورد(1973). الدين بوصفه نسقاً ثقافياً، والذي أعيد نشره في كتابه "تفسير الثقافات" دار التنوير، دمشق، ط1.
39.كوروتايف، أندريه(2004). الديانات في العالم والتطور الاجتماعي لحضارات العالم القديم لويستون, مطبعة ميلين، ط1.
40.كينغ، ونستون(2005) موسوعة الدين، ترجمة ليندساي جونز، المجلد 11 .ديترويت : المصدر: ماكميلان الولايات المتحدة الأمريكية.
41.لاش، نيقولاس(1996). بداية ونهاية الدين، مطبعة جامعة كامبريدج، ط1.
42.لوفي، مايكل(1994). الماركسية والدين، مايكل لوفي، ترجمة: بشير السباعي، مجلة القاهرة، العدد 134.

43.ماسوزاوا، توموكو(2005). اختراع الديانات في العالم، أو كيف حافظت الشمولية الأوروبية على الكونية في اللغة التعددية، جامعة شيكاغو.
44.محمد عبده(1980). رسالة التوحيد، مكتبة الهلال، القاهرة، ط1.
45.محمد، قطب(1983). علم النفس والمجتمع، دار الشروق، القاهرة، ط1.
46.النسائي، أحمد بن شعيب(1313هـ). سنن النسائي، موسوعة الدرر السنية، القاهرة، ج1، ط3.
74.النووي، محي الدين أبي زكريا(1996). صحيح مسلم، دار السلام، القاهرة، ط1.
48.الهاشمي، طه (1963) تاريخ الأديان وفلسفتها، دار الجيل، بيروت، ط1.
49.Allport, C,w(1979).The Individual and his religion, Newyork, Macmillan.
50.Edmond, Doutté,1900, les marabouts, Paris, Extrait de la Revue de l'Histoire des religions, Tome XL et XLI.
51.Jerenny, G,2003.The Complexity of Religion and the Definition of Loewenstein, G. (2007). Affect regulation and affective forecasting. In Gross, J, (Ed.) Handbook of Emotion Regulation. New York: Guilford.
52.Maase, S. W, Fink, E. L. And Kaplowitz, S. A. (1984). Incongruity in humor: The cognitive dynamics. Communication Yearbook.
53.Rotter,J,B1972.Application of Asocial Leaning Theory of Personality ,New York,P13.
54.Ronald Inglhart,1997, "Modernization and Postmodernization: culturel, economic and political change in 43 societies,Princeton university press,new jersey.
55.Rotter,J,B.(1954).Social Learning and Clinical Psychology. Englewood Lilts.